رحلة القيصر الروسي بطرس الكبير إلى اوربا١٦٩٧-١٦٩٨م

نادية جاسم كاظم الشمري
جامعة بابل/ كلية التربية
Nadiajasem10@gmial.com

الملخص

كشفت الدراسة ان الانفتاح على دول العالم الخارجي من اهم متطلبات النجاح للنهوض بالدولة الروسية وانقاذها من الجهل والتخلف، وتحقيق التقدم السياسي والاقتصادي والعلمي والحضاري من خلال تنشيط رحلات القياصرة الروس والبعثات العلمية إلى دول اوربا الغربية، وان اهتمام القيصر بطرس الكبير بالحضارة الأوربية ينطلق من استعمالها كأداة توصله لتحقيق غاية وهي خلق جيش قوي مسلحاً تسليحاً عسكرياً، وإنشاء دولة حديثة متطورة بمختلف العلوم والفنون تستطيعان الوقوف بوجه الدول الأوربية الغربية اولاً، والحصول على موانئ بحرية في المياه الدافئة على بحري البلطيق والأسود للتخلص من المصاعب التي يلاقيها الروس في اعتمادهم على ميناء اركانجل الذي تتجمد مياهه معظم أوقات السنة وهو الطريق الوحيد إلى أوربا ثانياً، كما ان رحلة القيصر إلى أوربا حققت نجاحاً في الجوانب العلمية والاقتصادية والعسكرية، إلا أنها فشلت في انجاز ما خططت له الدبلوماسية في عقد تحالف روسي مسيحي ضد الدولة العثمانية، وصرفت اهتمام القيصر عن العثمانيين إلى مسائل وقضايا أخرى، فقد لاحظ انه في العديد من دول البلطيق من بينها، بروسيا، وبولندا، والدانمارك وجود نمو متزايد لفكرة الحرب مع السويد، التي كانت آنذاك تحكم سيطرتها على القسم الأكبر من ساحل البلطيق، فاستثمر القيصر هذا الموقف، وقرر الاشتراك في الصراع، وتبعاً لذلك تغيرت فكرته عند رحلته إلى أوربا، بدلا من محاربة العثمانيين، رجع بفكرة محاربة السويديين من جهة، ونجحت هذه الرحلة في دراسة مختلف العلوم كالطبيعيات والرياضيات والعلوم العسكرية والشؤون البحرية، واكتساب الخبرات الصناعية والفنية من المجتمعات الأوربية في هولندا وبريطانيا وألمانيا ومحاولة تطبيقها في روسيا، ولاسيما في صناعة السفن التجارية والحربية الكبيرة، وتمكن ايضاً من الحصول على الكثير من الأسلحة والآلات، والكتب العلمية والخرائط الجغرافية وترجمتها من مختلف اللغات إلى اللغة الروسية، واستقدام العديد من الحرفيين والمهندسيين والعلماء والأطباء، وخبراء المدفعية في روسيا من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية :بيتر ميخائيلوف، الكسي ميخانيلوفيتش ، ماكولي.

Abstract

The study revealed that the openness outside world is most important require ments for success for the advancement of Russain state and save it from the ignorance and back wardness and achieve the political system , economic , scientific and culturlal travel from the travel of Russian leaders and the scientific missions to another countries of western Europe The concering of the Great Peter is to use the travel as a purpose to make a strong army and establish a modern state in order to face the western Europe countries.

The another goal was to get many ports in the warm water of the Baltic and the black Seas to get rid of the difficulties encountered the Russians on Arcangel port which water freezes all the Year-This port is the first way that the Russian used it to Europe. The trip of Caeser succeeded in many ports like the scientific part, Military part and economic part . but it failed in the diplomatic part when they held alliance between the Christian and Russian against Ottoman Empire . The Caeser noticed that

many Countries like the War against Sewedden , therefore he decided to enter the War, but he changed his mind .when he travelled to Europe instead of the War against Ottomans Empire His trip succeeded in many parts like maths part and the scientific military This trip bring to Russians the industrial experiences from Europe Countries and Applied in Russia such as commercial industries and Military industries and he manged to get weapons , Machinery , Scientific books and geographical Maps – They translated all of these things to Russian Language .
Keywords: Peter Mikhalor , Aleksei Milkhailorich , Makoley.

المقدمة

اتفق معظم المؤرخون ان دولة روسيا في القرن السابع عشر متخلفة اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً قياساً بالدول الأوربية المتقدمة التي كانت تنعم بنتائج النهضة الصناعية والفكرية، حيث كانت مفاهيم العصور الوسطى تتحكم فيها، يسودها الجهل الاجتماعي المشبع بالخرافات، والتفكك القومي الناتج عن الوصول إلى العرش والسلطان بقوة السلاح، وانحلال مؤسسات الحكم السياسي لتفشي الرشوة في مؤسسات الدولة من جهة، ولسيطرة الإقطاعيين على مقدرات البلاد الاقتصادية من جهة أخرى،ومن اجل ذلك لا بد من الانفتاح على دول العالم الخارجي لتحقيق التقدم السياسي والاقتصادي والعلمي والحضاري من خلال تنشيط رحلات القياصرة الروس إلى دول أوربا الغربية التي تمثلت برحلة القيصر الروسي بطرس الكبير خلال المدة ما بين (١٦٩٧- ١٦٩٨) .

وقد وصف المؤرخون المعاصرون حال روسيا في ذلك العصر: " إذا تمعن الفرد في طبيعة حياة المسكوفيين وأساليبهم اضطر إلى التسليم ، بأنه لم يجد شيئاً آخر يفوق ذلك الشعب الروسي همجية ، إنهم لا يتعلمون أي فن أو علم أو يأخذون أنفسهم بأي لون من ألوان الدراسة ، وعلى النقيض من ذلك بلغ بهم الجهل أنهم يظنون أن ما من إنسان يستطيع أن يضع تقويماً إلا إذا كان ساحراً يتنبأ بدورة القمر وحركة الكسوف والخسوف إلا إذا كان على اتصال بالشياطين "[١].

ومن العوامل التي أثرت تأثيراً فاعلاً في عزلة روسيا Russia عن دول أوربا الغربية Western Europe، هو العامل الديني لا سيما بعد اعتناقها الديانة المسيحية الأرثوذكسية في القرن العاشر الميلادي، إذ شكلت هذه الديانة معوقاً لها دون الاتصال الحضاري مع غرب أوربا الكاثوليكي الذي كان بدوره شديد التعصب لمذهبه[٢]. وخلال النصف الأول من القرن الثالث عشر وأواخر القرن الخامس عشر، فقدت روسيا استقلالها الوطني ووقوعها تحت الحكم المغولي الذي استمر طوال قرنين ونصف القرن تقريباً ، وذلك لقربها من المنبع الأساسي للقبائل المغولية التي كانت تسكن في منغوليا Mongolian، والصين China، مما أدى إلى احتكاكها الحضاري بالشعوب الآسيوية بداوة وتأخراً ، وتبعاً لذلك اقتبست كثير من العادات وتقاليد الحضارة الآسيوية [٣]. ومما زاد في عزلة روسيا عن منابع الحضارة الكلاسيكية التي عرفتها أوربا منذ القرن الخامس عشر الموقع الجغرافي والحصار الدولي الذي فرض عليها من الأتراك العثمانيين Turkish Ottomans، في الجنوب لسيطرتهم على جميع أراضي البحر الأسود Black Sea ثم من دولة بولندا Polandالقوية من الغرب التي كانت تحول دون أي امتداد روسي في تلك الجهات، اما مملكة السويد Sweden، فقد كانت تسيطر على شواطىء البلطيق Baltic والملاحة [٤]. ولم يكن لروسيا سوى مينائها أركانجل[٥] Archangel، الذي كان مغلقاً أكثر من نصف العام بسبب الجليد[٦].

لقد شارك ذلك في تأخر روسيا إلى جانب رجال الدين، مجموعة من أسرة روريك[٧] Ruric السويدية الأصل الذين تعاقبوا على عرش الدولة ومارسوا سياسة العنف والقسوة وحرمان الشعب الروسي من جميع اشكال الحريات، فلا برلمان، ولا مدن حرة ، ولا نقابات حرة ، ولا نظام معين للطبقات الاجتماعية[٨] .

ان انقاذ المجتمعات الانسانية من الجهل والتخلف تحدده اعمال القادة والملوك الذين أسسوا الإمبراطوريات ووضعوا القوانين التي تضمن للافراد حقوقهم وحرياتهم بكل اشكالها فكانت شخصية بطرس الكبير[٩] Peter The Great من هذا الطراز، وكان اتصاله بالأوربيين في موسكو من أهم الاحداث المؤثرة في حياته، حيث أرسلته اخته صوفيا Sophia وكان عمره تسع سنوات إلى إحدى الأديرة القريبة من موسكو التي كانت مخصصة للإقامة الإجبارية للسفراء والتجار الألمان والهولنديين والاسكتلنديين، الأمر الذي ترك انعكاساً على تربيته، وعلى تفتح عقليته وآفاق فكره منذ صغره، فقد تعلم منهم معظم الكلمات الألمانية والهولندية، ومبادىء العلوم والحساب، واستكشف من خلالهم بعض مظاهر الحضارة الغربية، الامر الذي حرك فيه الرغبة في فرض هذه الحضارة على إمبراطوريته، التي كان أهلها يعيشون معيشة شبه اسيوية[١٠]. فألقى على عاتقه انقاذ روسيا من التخلف والنهوض بها وتطويرها داخلياً وخارجياً، ولكي يقوم بانجاز هذه المهمة لا بد من الاتصال بدول أوربا الغربية من اجل إدخال الأساليب العلمية الحديثة الأوربية وجعلها في مسار التطبيق في الحياة الاجتماعية للمواطن الروسي للارتقاء بها وجعلها في مصاف الدول المتقدمة[١١].

قرر القيصر بطرس الكبير في السادس من كانون الثاني ١٦٩٧ البدء برحلته المشهورة إلى أوربا ، وكان عمره خمسة وعشرين عاماً[١٢] . وأمر بأن يترأس البعثة الشخصية المرموقة الادميرال ليفورت Admiral Lefort ، وهو سويسري Swiss من جنيف ومن اشد المتحمسين لفكرة رحلات القيصر إلى الدول الأوربية المتقدمة من اجل الاطلاع عليها شخصياً لصالح روسيا [١٣]. والثاني الجنرال غولوفين Golovin، رئيس مديرية العلاقات الخارجية، ومدير الرحلة الذي امتاز بالحكمة وحسن المعاشرة واستطاع توطيد العلاقات الدبلوماسية بين روسيا والصين، وتوقيع معاهدة نيرجنسك Nrgensk عام ١٦٨٩[١٤]. والثالث معاونه الرئيس عضو مجلس الدوما ومن كبار المسؤولين في مديرية العلاقات الخارجية دونتسين دياك Dontsen Diack كاتب سر القيصر، الذي تحلى بسعة الاطلاع والحكمة والتمرس الوظيفي، وقام بعدة مهمات دبلوماسية في الخارج مع الإمبراطورية العثمانية والبندقية Venice والنمسا وبولونيا، وكان هؤلاء الزعماء الثلاثة يتحلون بقابليات وطباع مختلفة فيكملون بعضهم البعض الاخر، وكان مع كل جنرال أربعة كتّاب واثنا عشر مديراً وخمسون ضابطاً من ابناء النبلاء المشهورين لإرسالهم للدراسة في الخارج، وقال عنهم احد الدبلوماسيين البولونيين: **" ان هؤلاء السفراء أذكياء للغاية ومطلعون جيداً على الأحوال في أوربا ويتميزون بمنتهى التهذيب "**[١٥].

وفي الثاني من آذار ١٦٩٧ غادرت موسكو المجموعة الأولى من الرحلة ، وبعد اسبوع غادرتها المجموعة الأساسية وهي تضم الحاشية والخدم (الأطباء والقسس والطباخين والمهرجين الأقزام) ويتجاوز عددهم مائتين وخمسين شخصاً ، منهم (٣٥) طالباً، وبين طلبة الرحلة القيصر متخفياً باسم بيتر ميخائيلوفPeter Mikhalov[١٦] ليطلع بنفسه على العلوم الأوربية وفنونها وقدراتها العسكرية والمالية[١٧]. وقد عهد لإدارة دولة روسيا وكالة إلى رجلين من أعيانها هما ستركنيف Strkneiv، والرجل الآخر رومادونوسكي Romadonsky، وأمرهما بمشاورة الامراء الروس والمجلس الأعلى في حالة وقوع أمور هامة في غيابه، ولكي يضمن جانب[١٨] الاسترلش Streltsy ، أمر بنشرهم على حدود القرم Crimea لمنع هجمات التتار Tatars، والمحافظة على ازوف Azov ، واقام على مدينة موسكو Moscow الجيش الذي

جدده الجنرال غوردون GeneraL Gordon من اجل تعزيز الأمن ولاستقرار(١٩). وهكذا كان القيصر قد دبر حال بلاده قبل سفره بحكمة وسافر مطمئن البال اثناء بعده عن روسيا، ولأول مرة في التاريخ توجه قيصر روسيا إلى بلدان أجنبية والهدف الرسمي من هذه الرحلة كما قال الموظف في مديرية العلاقات الخارجية اوكراينتسيفUkraintsev هو: **" تأكيد الصداقة القديمة والتمسك بالقضايا المشتركة للمسيحية جميعها واضعاف اعداء الصليب المقدس والسلطان العثماني وخان القرم وجميع جحافل الاعداء "**، أي تأكيد التحالف الأوربي المسيحي المناوىء للدولة العثمانية والقرم التابعة لها. وفي اواخر كانون الثاني في العام ذاته تمكن المبعوث الروسي كوزما نيفيمونوفKozma Navemunov، الذي اجرى مباحثات طويلة صعبة في فينا Vienna والبندقية من توقيع معاهدة التحالف الدفاعي والهجومي لمدة ثلاث سنوات بين روسيا والإمبراطورية الرومانية المقدسة والبندقية ضد الدولة العثمانية ، اما بولونيا ، فقد شهدت فوضى واضطراب بعد وفاة ملكها جون سوبيسكي Jhone Sobieski في صيف ١٦٩٧، وبدأ عهد **" غياب الملك"** ، وما يلازمه عادة من صراع بين الجماعات والتكتلات، ولذا لم يكن مقرراً زيارة بولونيا لتوقيع معاهدة مماثلة، ولم يكن بالإمكان طبعاً استمالة فرنسا French، إلى جانب الدول الأوربية، لأنها حليفة الإمبراطورية العثمانية آنذاك، وأما بريطانيا Britain، وهولندة Holland، فقد أبدت اهتماماً بالتجارة مع اسطنبول، علاوة على ذلك ان الوضع الدولي الذي كان قائماً في أوربا لم يكن ملائماً ، إذ إنَّ الدول الأوربية ركزت اهتماماتها على التعقيدات الدولية الناشئة عن وراثة العرش الاسباني (٢٠) وقد كان هذا النزاع جدياً بحيث بدأت نذر الحرب في أوربا، مما أعاق بطرس الكبير عن الحصول على حلفاء جدد لخوض الحرب ضد الدولة العثمانية ، ذلك هو الموقف في ميدان السياسة الخارجية، وهذا يوضح السبب الذي جعل الأهداف الدبلوماسية ثانوية في نشاط رحلة بطرس الكبرى، وقال الدبلوماسي الروسي شافيروف Shaferov ان الهدف الرئيس من هذه الرحلة : " الاطلاع على الحياة السياسية في أوربا وبناء الأنظمة العسكرية والسياسية في روسيا على النمط الأوربي ، وحث رعايا بطرس بقدوته الشخصية، على زيارة الدول الأوربية لدراسة اللغات، والاخلاق الطيبة، واكتساب المهارات والصنائع والفن العسكري، ويبدو ان القيصر انطلق من القاعدة المعروفة: " الرؤية مرة أفضل من السماع مائة مرة " (٢١) .

وانطلقت الرحلة عام ١٦٩٧ من نفغورود Novgord ، نحو الدول البلطيقية استونياEstonia وليفونيا Livonia، مع مجموعة من الزحافات التي تحمل احتياطي الأطعمة والاشربة وكثيراً من النقود والفراء الثمينة، وهذه الأخيرة تعطى هدايا للمسؤولين ، وكان القيصر ينام في الزحافة وهي سائرة ، تحدوه الآمال والمشاريع المنشودة ، وقد اخذ معه ختماً مصنوعا من الشمع كتب عليه : **"** أنا طالب ابحث عن معلمين لكي أتعلم " . رأى بطرس في رحلته خصوبة الأراضي الليفونية وقلاعها الحصينة والموقع الجغرافي المهم لمدينة ريغا Riga، قاعدة الإقليمين ، فتحركت فيه دواعي الاطماع ، ورغب في السيطرة على هذين الإقليمين ، وصمم على مشاهدة القلاع والاستحكامات ومقدار القوة التحصينية، فحاول اقناع حاكم المدينة الكونت دي البرغ Count De - Albeg منعه من ذلك (٢٢). وقد دهش الروس بشأن تجار ريغا الذين أبدوا طمعاً كبيراً في المال ، عندما واجه الروس أزمات مالية عرضوا زحافاتهم للبيع عندما حل فصل الربيع ، وطلبوا من تجار ريغا شراء عربات، الا انهم خدعوهم في هذه الصفقة، ورغب بطرس في الذهاب إلى المرفأ الذي تقف فيه سفن هولندية، لكن السويديون لم يسمحوا له بالذهاب إلى هناك، وكتب القيصر إلى موسكو قائلاً : " عشنا

هنا كالعبيد ولم نشبع الا من النظر ، والتجار في ريغا في احسن ثياب وهم حقانيون جداً حسب الظاهر ، لكنهم عندما بعنا لهم زحافاتنا اخذوا يتشاتمون مع حوذيتنا ، ويبيعون علينا باغلى الأثمان "(٢٣).

الا ان ذلك لم يثن من عزيمة القيصر بطرس الكبير وبقي مصراً على تحقيق طموحاته السياسية للسيطرة على استونيا وليفونيا منتظراً الفرصة المناسبة، والعودة إلى البلاد (٢٤).

ترك القيصر ريغا التي لم تستقبله بحسن ضيافة، وقد حزر أهلها بسره ، وفي الثامن من نيسان ١٦٩٧ وصل إلى ميتاوا Mittau عاصمة دوقية كورلانديا Courlandia ، وهي دوقية تابعة إلى الدولة البولندية واستقبلوه بحفاوة وترحاب، فظل في ضيافة الدوق فردريك كازيمير Frederick Casimir حتى الثاني من ايار في العام نفسه، وتقابل الدوق مع بطرس اثناء المراسيم الرسمية واللقاءات الشخصية ، وبالمناسبة فلم تجر بينهما مباحثات سياسية جدية ، وفي الوقت نفسه استقل القيصر بطرس الكبير السفينة " القديس غيورغي "الى كينيغسبيرغ Koenigsberg ، ورأى لاول مرة بحر البلطيق الذي شغل باله بعد عدة سنين، وبعد خمسة ايام وصل طلبة البعثة إلى كينيغسبيرغ، اما باقي أعضائها فقد ساروا براً ولحقوا بالقيصر بعد عشرة ايام والتقى الأخير بحاكم براندنبرج Brandenburg، وبروسيا Prussia ، فردريك الثالث(٢٥) Frederick III الذي له مصلحة في التقارب مع روسيا وأبدى منتهى الحفاوة به، فقد توالت الولائم المهيبة والسهرات وحفلات التسلية ، لكن القيصر لم ينس امراً آخر، فقد استعان بكبير اخصائيي براندنبرج في المدفعية فون شتيرتفيلد Phon Stehrfeld فتعلم على يديه ليزيد من معارفه في هذا الميدان، وأدهشه بقابلياته ومهاراته وحصل منه على شهادة تفيد بأن القيصر خبير مدفعي ماهر، وجرت مباحثات في الوقت ذاته، كان فردريك الثالث وهو من سلالة الهوهنزلرن التي حكمت براندنبرج عام ١٤١٥، يسعى شأن اسلافه من وراء الدبلوماسية الماهرة الى توسيع ممتلكاته وتعزيز دولته التي انضمت اليها بروسيا، بعد ان كانت تابعة لبولونيا في اعقاب الحرب الليفونية The Livonian War (١٥٥٨-١٥٨٣م) التي خسرتها روسيا، وكان حاكم براندنبرج بحاجة إلى تأييد روسيا لسياسته التوسعية، ولذا حاول أن يترك انطباعاً حسناً عند بطرس من خلال التحية المدفعية والألعاب النارية ، والولائم الضخمة، والمعانقة والود ، وتقبل بطرس ومبعوثوه حسن الضيافة، وشكروا الحاكم على إرسال المهندسين والضباط الذين كانت روسيا بأمس الحاجة إليهم في الحرب ضد العثمانيين اثناء حملتي ازوف، وأكد الطرفان على الصداقة القديمة بين الدولتين وعلى هدفهما المشترك بمحاربة العثمانيين وكان هدف فردريك الثالث من ذلك اضعاف دولة بولونيا، وفي الرابع والعشرين من ايار ١٦٩٧، استلم المبعوثون الروس مسودة معاهدة التحالف لم يعترضوا على أربع مواد منها : وهي المواد الخاصة بتأكيد الصداقة الأبدية، وتسليم المعتدين، ووصول الروس للدراسة، وحق تجار براندنبرج في السفر من خلال روسيا في بلدان الشرق لبيع الكهرمان، لكن المواد الثلاث المتبقية قوبلت بموقف مغاير تماماً ، فقد تناولت المادة الثانية من المسودة عقد تحالف دفاعي بين الدولتين ، وتبادل المساعدة اثناء الاعتداء على كل منهما، وتناولت المادة الثالثة الضمانات الروسية لسلطة حاكم براندنبرج في بروسيا، فالموافقة على هاتين الصيغتين تدفع روسيا الى الصدام مع بولونيا والسويد، الامر الذي يمكن ان يثير سخط فينا عاصمة الإمبراطورية الرومانية المقدسة Holy Roman Empire التي تضم براندنبرج وبروسيا ، وكان هذا الحاكم ينافس في الواقع حليفه الاعلى- الإمبراطور، وهذا امر لا يمكن ان يحظى طبعاً بتأييد بطرس ودبلوماسيه الذين ينطلقون من كون الامبراطورية المذكورة هي حليفة روسيا في الحرب ضد اسطنبول، ولذا رفض هذه المواد الثلاث، ومع ذلك اتفق بطرس مع حاكم براندنبرج اثناء المباحثات في التاسع من حزيران من العام

ذاته على اتفاقية التحالف والتعاون ضد الخصوم، ولكن بشكل غير تحريري، ووثق كلا الحاكمين الاتفاق الشفوي بان تصافحا واقسما وتبادلا القبل، وانطلق القيصر من ان الضمانة الوحيدة للالتزام بالاتفاقيات هي ضمير الحاكمين، ولا احد، سوى الخالق، يستطيع أن يحكم على تصرفاتهما، بما فيها توقيع المعاهدات، وقد أعرب بطرس الكبير عن رأيه هذا إلى فريدريك الثالث وتكرم على حاكم براندنبرج بياقوتة ضخمة، ثم توجه القيصر إلى ألمانيا وكان يتراسل مع موسكو فقد كتب مثلاً في رسائله إلى فينيوسVenues الذي يترأس مديرية سيبيرياSiberia بالإضافة إلى مديريات أخرى عن استئجار اخصائيي التعدين من أوربا، ففي الاورال Ural، اكتشفوا قبل رحيل القيصر فلزات حديد جيدة، وكان بطرس الكبير مشغول البال ببناء الأفران وصهر الفلزات وصب المدافع وغير ذلك، وكتب بطرس إلى فينيوس قائلاً :" حالما نصل إلى هولندا نتخذ الاجراءات لاستخدام الاخصائيين الذين نحن بحاجة اليهم [٢٦] .

وقد اكتسب طلبة البعثة في ألمانيا خبرات علمية تمثلت بتعلم اللغة الألمانية، وفن انشاء اعمال الدفاع ودخلوا محاضرات في الطب الألماني، فقد كان موقف بطرس الكبير تجاه الغرب وثقافته نفعياً وذرائعياً فقط، فما كان يهمه الا التقنيات أكثر من الأفكار، وكان يعجب بقوة الغرب وثرائه أكثر من فكره الفلسفي او السياسي، ومع ذلك فان تأثير أوربا الغربية الفكري والمادي في روسيا قد تصاعد دون انقطاع[٢٧].

كان بطرس يريد الوصول إلى هولندا بأسرع ما يمكن، وتبعاً لذلك امتنع عن لقاء عقيلة حاكم هانوفر Hanover، ولم يخجل من الاعتراف بأنه لا يحب الموسيقى والصيد ويفضل بناء السفن وهناك في هولندا كانت تنتظره الاعمال في أحواض بناء السفن واللقاءات مع الأخصائيين الذين يعرفهم منذ ان كانوا في موسكو، علاوة على ذلك ان اللغة التي يعرفها بطرس هي الهولندية [٢٨].

ومما تجدر الإشارة الى، أن هولندا دولة بحرية وتجارية وصناعية متطورة، وفيها صناعات مانوفاتورية وأسطول تجاري هائل يضم (١٦) ألف سفينة، ويبلغ عدد سكانها نحو مليونين، حيث ظهرت فيها البنوك البرجوازية وبورصات العملة وشركات التأمين، وكان وليم الثالث William III(١٦٨٨-١٧٠٢) حاكم هولندا وفي الوقت ذاته كان ملكاً لبريطانيا، ورئيساً لائتلافي الدول الأوربية (تحالف اوغسبورغ League Augsburg، وحلف فينا الكبير Great Vienna Nato)، المناهضين لتوسع فرنسا ولاطماع لويس الرابع عشر Louis XIV (١٦٦١-١٧١٥) في هولندا، وقد تشجع وليم الثالث وانضم إلى صفوف أعداء فرنسا، لأنه كان من أصل هولندي، وكان يرى من واجبه الوطني أن يدافع عن هولندا ضد الغزو الفرنسي لها منذ عام ١٦٨٨، وقد واجهت هولندا بنجاح أقوى جيش في أوربا هو الجيش الفرنسي[٢٩].
واجتمع دبلوماسيو هولندا وحلفاؤها في مفاوضات الصلح مع ممثلي فرنسا في مدينة ريسويك [٣٠] Ryswick، وكان بطرس بزي قبطان مع (١٨) طالباً من طلبة البعثة يقترب من هولندا عن طريق الراين وقنواته، وفي السابع من آب١٦٩٧، وصلوا إلى امستردام Amsterdam ، ولم تكن البعثة قد وصلت بعد، فترك بطرس (١٢) شخصاً في المدينة وأسرع مع باقي الطلبة إلى البحر، وفي اليوم التالي وصل إلى ساردام Sardam، والتقى بحداد يعرفه ممن عملوا في روسيا، ودهش الحداد عندما رأى القيصر، وحذره بطرس بأنه وصل خفية، ثم نزل مع رفاقه في منزل الحداد الصغير، وفي الحال ارتدى بطرس قمصلة حمراء من البازة وسروالاً قطنياً وراح يعمل بالفأس بمهارة، واشتغل أجيراً في حوض صناعة السفن، واقتنى الأدوات اللازمة وحمل فأسه، وبدأ يتعلم مهارات بناء السفن، وكان يقود اليخت بنفس المهارة ، وقال شاهد عيان هولندي: (كان في كل مكان يبدي حب استطلاع غير معتاد ، وغالباً ما يسأل عن أمور تفوق مستوى معارف الذين يسأل منهم ، كان حاد الملاحظة ، يتمتع بموهبة نادرة للفهم، ويتمتع بنفس القدر بذاكرة فائقة،كان الكثيرون

يدهشون لمهارته في العمل فهو يتفوق أحيانا حتى على أكثر العاملين حنكة، علاوة على ذلك زار معامل الحديد ، والحبال، والمطاحن، والمعاصر، والأسلاك المعدنية، ومعامل الورق وتفقد كل ما يثير اهتمامه، ثم اخذ قالباً من يد احد الأسطوات كان هذا الأخير يغترف به معجون الورق وصب ورقة رائعة لا يستطيع احد أن يصب أفضل منها)(٣١) .

وأعجب القيصر بقرية ساردام ، لأنها تعد مركزاً هاماً لصناعة السفن التجارية والقوارب الصغيرة، وكانت غنية بمواردها الطبيعية وكثرة أشجارها، وتنوع الاشغال فيها، ومن مواظبة سكانها وسرعتهم في انشاء السفن، علاوة على ذلك كثرة المخازن والآلات التي بواسطتها يسهل العمل وتكون بها الصناعة في غاية الإحكام والإتقان، وتبعاً لذلك قرر القيصر شراء مركب غير صالح للاستعمال، وبادر بإصلاحه بنفسه، ثم اخذ يتعلم صناعة أجزاء السفن، ولم يوجه بفكره إلى صناعة السفن فحسب، بل كان يشتغل معهم في معامل الحديد والحبال وفي المخازن المعدة لتوزيع الأخشاب، والمصانع لعصر الزيوت، وتعلم ايضاً عمل الأسلاك المعدنية وسجل اسمه في دفتر الترسانة باسم بطرس ميخائيلوف وكان معروفاً عندهم بالمعلم بطرس، وقد أدرك القيصر ان ساردام ليست المركز الريئس لصناعة السفن الكبيرة كما أكد له الهولنديون في موسكو، فهي مخصصة لصناعة السفن التجارية والقوارب الصغيرة ، اما السفن الكبيرة فيتم صناعتها في امستردام، ولذا قرر الرحيل إليها(٣٢).

وفي تلك الاثناء وصلت البعثة الكبرى إلى هولندا، واستقبلت رسمياً في امستراد في السادس عشر من اب ١٦٩٧، وكان بين الحاشية بطرس الذي وصل من ساردام بزي قبطان وقميص احمر وقبعة لبادية، واستقبلت البعثة بتحية مدفعية، ووقفت القوات وحشود المتفرجين على طول طريقها وخصص لها أفضل فندق في المدينة، وفي اليوم نفسه تعرف بطرس على نيكولاى فيتزين Nikolai Wiczn، محافظ امستراد وهو أحد مدراء شركة الهند الشرقية East India Company وكان قد زار روسيا سابقاً وتعلم اللغة الروسية، وله مؤلفات عن روسيا ودراسات في صناعة السفن، وغدا هذا الإداري والعالم الكبير بمثابة الوصي على البعثة الكبرى، فقد هيأ لبطرس وسائر الطلبة عملاً في حوض صناعة السفن التابع لشركة الهند الشرقية ، وقرر مدراء الشركة وضع أساس سفينة جديدة لتتمكن الشخصية البارزة التي وصلت إلى هنا خفية من دراسة جميع مراحل صناعتها وتجهيزها، وعرف بطرس بذلك في المأدبة التي أقيمت تكريماً للبعثة، وأصر بطرس الكبير السفر فورا إلى ساردام ليلا لجلب حاجياته وأدواته وينقلها إلى حوض صناعة السفن، فطلب المفاتيح من خفر الميناء وإنزال الجسر المفتوح وايقاظ أهل المنزل الذي كان القيصر يقيم فيه، وفي العشرين من اب ١٦٩٧، عاد من ساردام في قارب شراعي صغير وتوجه فوراً إلى حوض الشركة ليباشر عمله، واقام في منزل اسطة الحبال مع عشرة من الطلبة الروس، وفي اليوم التالي اقامت السلطات استعراضاً حربياً بحرياً تكريماً للبعثة ، وشاركت فيه (٤٠) سفينة حربية وانساق بطرس وراء الاحداث اثناء القتال حتى اخذ على عاتقه قيادة يخت حربي، ووجه جل اهتمامه لواجبات نجار السفن، وفي التاسع من ايلول من العام نفسه أرسى القيصر والطلبة أساس بناء فرقاطة ليبنوها بأنفسهم بالكامل تحت اشراف الاسطى الهولندي بول Paul ، كان العمل صعباً جداً ، لكن بطرس لم يلتفت إلى الصعوبات ، فهو متواضع في الملبس والمأكل ولا يهتم بوسائل الراحة، ويمكن قول الشيء ذاته عن جنرالاته مينشيكوف Menshikov، وغولوفين وغيرهم، الا ان بقية الطلبة لم يكونوا كهؤلاء ، فالبعض منهم لم يتحملوا عناء ومشاق العمل وسرعته وحاولوا ان يعودوا إلى الوطن والقوا اللوم على القيصر، لأنه يعمل بنفسه في حوض صناعة السفن، وعندما عرف القيصر بذلك، أمر دون تردد بتقييدهم بالسلاسل لإعدامهم فيما بعد وقطع رقابهم، الا ان محافظ امستردام تدخل وأوضح

للقيصر الروسي ان اعدام المرء في هذا البلد بدون محاكمة غير جائز، ولذا رأف بطرس بالطلبة العاصين، وبدلا من الاعدام امر بنفيهم إلى المستعمرات الهولندية(٣٣).

ومن أهم الاعمال التي أنجزها القيصر بنفسه في امستردام صناعة سفينة كبيرة تحمل (٦٠) مدفعاً وانزلها في البحر، وأرسلها إلى ميناء اركانجل، ولم يقتصر حال وجوده في أمستردام على تعلم الصنائع والفنون، بل كان يدخل بخدمته الهاربين من الفرنسيين والنمساويين والايطاليين ويبعث بكثير من أرباب الصنائع المختلفة إلى موسكو ليقيموا فيها ويشتغلوا على حساب المملكة أو على حسابهم، ولا يبعث منهم الا الذين يتأكد من مهارتهم وشاهد بنفسه براعتهم في نفس تلك الصنعة ، لأنه كان قد برع بأكثر الصنائع وصار يحسب بالدرجة الأولى لرغبته بذلك وفطنته وذكائه، ولا سيما في فن رسم الخرائط الجغرافية ، قاصدا بذلك إصلاح خارطة روسيا ورسم جبالها وأنهارها وطرقها من اجل تحقيق مصالحه السياسية والاقتصادية، وقد حفظ الخارطة التي رسمها بيده بمساعدة رجل نمساوي اسمه براكيل Barkel، تهيئه لربط بحر قزوين Caspian Sea بالبحر الأسود Black Sea وبحر ازوف Azov Sea ، غير انه كان يتقوى ويحقق آماله عندما يرى ان النجاح حليفه ويخدمه في جميع مشروعاته، وفي تلك الاثناء انتصرت جيوشه على التتار في الثاني والعشرين من اب ١٦٩٧ بالقرب من بحر ازوف وتغلبوا أيضاً على مدينة الذهب المسماة أركابيا Arkabeya ويقال لها عند الفرنسيين بريكوب Brecup ، فنال موضع تقدير كبير في اعين أوربا ولا سيما عند الذين كانوا يلومونه على تركه ملكه وبلاده ، وإقامته على تلك الحالة المهينة بشأن الملوك والحط من قدرهم، وكذلك إهماله حالة جيوشه ببعده عنهم ، للتزود بالمبادىء والأفكار الفلسفية والمعلومات والحقائق العلمية ، واكتساب الخبرات الصناعية وغيرها(٣٤) .

وكان بطرس ودبلوماسييه يتلقون التقارير من نيكيتين Neketten في بولونيا، حيث كان الصراع لا يزال مستمراً بين انصار اغسطس Augustus ودي كونتيDe Conti ، ويتراسلون مع ملكي الدانمارك Denmark، والسويد اللذين أيدا ترشيح الأول ملكاً على بولونيا، وفي هولندا كانت تصدر جرائد منتظمة يشتريها الروس ويقرأونها بحذافيرها، واقترن العمل في حوض صناعة السفن والمراسلة الدبلوماسية بزيارة المتاحف والمسارح وحدائق النباتات ومختبرات التشريح والمانوفاتورات، علاوة على ذلك فقد تعاقد الروس مع اخصائيين في مختلف الميادين وبعثوهم إلى روسيا، وجرى الاحتفال بدخول البعثة الكبرى إلى لاهاي في السابع عشر من ايلول ١٦٩٧، حيث تتواجد هيئات السلطة العليا بما فيها الهيئات العامة للجمهورية ونوابها المنتخبون، ولم يكن المبعوثون الروس يفهمون تماماً خصائص النظام الجمهوري ووظائف النواب، وهذا واضح على الأقل من كون المبعوثين الكبار قد طالبوا وفقاً للاصول الدبلوماسية الموسكوبية، بان يستقبلهم النواب اثناء المقابلة الرسمية وقوفاً عند ابواب العربات، وأوضح لهم فيتزين ان النواب ليسوا خدماً للملك ، بل هم اصحاب السلطة العليا المستقلة، وجرت المقابلة الرسمية في الخامس والعشرين من ايلول، والقى المبعوثون الكبار خطباً وسلموا الهدايا فراء السمور الثمينة، وردت رئاسة الهيئات العامة بكلمة جوابية ووقف بطرس بين حاشية البعثة يراقب المراسيم، وبعد مراسيم افتتاح السفارة ، زاره رسمياً سفراء بريطانيا وبراندنبرج والدانمارك والسويد وبلدان أخرى، ولم يحضر السفير الفرنسي ، لان السفارة الروسية تجاهلته كونه ممثل لدولة معادية لروسيا وصديقة للعثمانيين، وفي منتصف تشرين الاول في العام ذاته جرت تبادل اللقاءات والمباحثات بين المبعوثين الروس واللجنة الخاصة التي عينتها الهيئات العامة، وتابع بطرس باهتمام سير الاعمال وحرر التوجيهات، وطرح الجانب الروسي مسألة المساعدة الهولندية لروسيا في حربها ضد اسطنبول بالعتاد وذخيرة السفن وبالأموال لبناء الأسطول، وعرض على الهولنديين حق المتاجرة مع بلاد

فارس وبلدان الشرق الأخرى من خلال روسيا، لكن المندوبون الهولنديين رفضوا ذلك كله ، فليس لهولندا مصلحة كبيرة في المتاجرة مع روسيا، فالتجارة معها تشكل اقل من ١٪ من التداول التجاري الخارجي العام للبلاد، وبعد توقيع الصلح مع فرنسا، لم تعد هولندا راغبة في تأزم العلاقات معها بتقديم المساعدة إلى بلد يحارب العثمانيين، علاوة على ذلك ان السلطات المحلية مهتمة بحالة التجارة في البحر الأبيض المتوسط، ويمكن للعثمانيين ان يضعوا المعوقات لعرقلة تلك التجارة [٣٥].

وبهذه الصورة دفعت روسيا ثمن تخلفها وعدم وجود اسطول وتجارة متطورة على نطاق واسع، اما أقوال المبعوثين الروس بشأن ضرورة توحيد جهود الدول المسيحية في محاربة الدولة العثمانية، فقد بدت في أنظار الساسة الأوربيين الغربيين ساذجة تماماً، فان اختلاف المعتقدات، الدينية لم يمنع نشوء مختلف الائتلافات والاتحادات والكيانات السياسية الخارجية مثل الائتلاف المعادي لفرنسا الكاثوليكية والذي دخلته الدول البرونستانية (بريطانيا وهولندا والسويد)، بل وكذلك الدول الكاثوليكية (النمسا Austrian، واسبانيا Spain، وبافاريا Bavaria)، وتحالف فرنسا مع تركيا الاسلامية، وفي اثناء ذلك لم يعد العمل في حوض صناعة السفن التابع لشركة الهند الشرقية يرضي بطرس، فبعد ان أتقن المهارات العملية في هذا المجال صار يحلم بالتطلع في نظرية صناعة السفن، الا ان الاسطوات الهولنديين الذين يطلب العون منهم لا يستطيعون ان يعينوه بهذا الخصوص، وتشكى القيصر من ذلك ذات مرة في منزل التاجر يان تيسينغ Yan Tsingh وكان في ضيافته، وجرى بين صاحب البيت وضيفه حديث فسأله ما الذي يحزنك، فأجابه القيصر قائلاً : " يؤسفني جداً اني قطعت طريقاً طويلاً ولم احصل على النتيجة ". هذا وقد حضر الحديث رجل بريطاني عقبه قائلاً :" يمكن تعلم صناعة السفن الحربية والتجارية المتطورة بأقصر وقت ممكن في بريطانيا **"**. فانتعش القيصر واستعاد حماسه وتكلم مع وليم الثالث بهذا الخصوص فدعاه الأخير إلى بريطانيا[٣٦].

وصلت من لندن London في الثالث والعشرين من تشرين الثاني ١٦٩٧ رسالة إلى الجنرال الروسي ليفورت من الادميرال اللورد كارمارتن Admiral Lord Carmartin ، افاد فيها ان ملك بريطانيا أهدى لقيصر روسيا يخت يسمى" ترانسبورت رويال **Transport Royal**" الذي فرغوا من صناعته حسب تصميم كارمارتن نفسه، وقدم اللورد كابتن لقيادة اليخت، وارتاح بطرس اشد الارتياح للهدية الثمينة ، وأراد أن يراها بأسرع وقت ممكن، وبعث الميجر ادام فيدي Major Adam Viedey إلى لندن ، ليبلغ الملك بانتصار روسيا على العثمانيين في معركة تاوان Ttauan على الدنيبر Dniepr، ولمح الملك الى ان موقفه من بطرس لا يزال طيباً على الرغم من فشل المباحثات في هولندا، وفي اواخر العام المذكور بذل افراد البعثة الكبرى قصارى الجهود للتعاقد مع اخصائيي الاسطول وصنع السلاح، لارسالهم للعمل في روسيا، وتمكنوا من استئجار اكثر من (٨٠٠) شخص من هولندا وبريطانيا والمانيا والبندقية واليونان من ضباط وبحارة ومهندسين واطباء وغيرهم، وبعثوا الى روسيا عشرات الآلاف من البنادق الجديدة وكميات من المواد العسكرية والاجهزة البحرية، وظل بطرس ومبعوثوه مهتمين بالوضع في بولونيا، فلا يزال الصراع قائماً هناك بين اغسطس ودي كونتي، وكان هذا الاخير يعتمد على قوات تقدر نحو (١١) الفاً، وطلب السفير البولوني بوزي Bozi وهو سكسوني الأصل، من بطرس ان يقيم استعراضاً عسكرياً وألح في الطلب حتى أشار بطرس في آخر المطاف على رومودانوفسكي بان ينجد ملك بولونيا، اذا طلب النجدة في الصراع ضد دي كونتي وعصبة الوجهاء البولونيين الموالين لفرنسا، وطلب القيصر من الدانمارك الا تسمح للأسطول الفرنسي بالمرور إلى البلطيق لنجدة دي كونتي، وفي السادس والعشرين من كانون الاول ١٦٩٧ عاد فيدي وبأمر من ملك بريطانيا وليم الثالث ترافقه ثلاث سفن ويختان من بريطانيا لايصال بطرس وطلبته إلى لندن،

وفي التاسع من كانون الثاني ١٦٩٨ توجه بطرس مع الطلبة إلى الجزر البريطانية، في حين ظلت البعثة الكبرى في امستردام ، استمرت الرحلة ثلاثة ايام في بحر مضطرب بارد ، وفي الحادي عشر من كانون الثاني وصل بطرس الى لندن وكان معه (٢٧) شخصاً (من طلبة البعثة والخدم) ، وكان يرتدي ملابس زي ملاح هولندي، وانهال على الاميرال ميتشيل Mitchell، الذي رافقه على متن السفينة بكثير من الاسئلة بخصوص الملاحة وتصميم السفن، ذات مرة صعد إلى الصارية ودعا الاميرال ليتبعه، لكن الأخير اعتذر بأدب متحججاً ببدانته، وتحدث وليم الثالث بارتياح مع رجال بلاطه والدبلوماسيين الأجانب عن القيصر الغريب الأطوار وذكر المقيم النمساوي هوفمان Hofman : "قال الملك ان هذا القيصر لا يتسلى الا بالسفن والملاحة البحرية ، وهو لا يهتم بجمال الطبيعة وبالمباني الرائعة والحدائق المدهشة ، ولا يتكلم ، ولا يفهم باللغة الهولندية الا ما يتعلق بالملاحة البحرية "(٣٧).

كان القيصر يصرف القسم الأكبر من وقته الذي قضاه في بريطانيا (أربعة اشهر) في احواض صناعة السفن وهو يدرس النظرية، ففي مدينة ديبتفورد Deptford بضواحي لندن تلقى منهجاً نظرياً في صناعة السفن باشراف مفتش الاسطول الملوكي السير انطوني دين Sir Antony Dean، وقد ساعده اللورد كامارتن الذي ربطته به علاقة صداقة ، فهذا الرجل واسع الاطلاع، فشعر القيصر بالارتياح من مخالطته، وتلبية لدعوة الملك وصل بطرس إلى بورتسموث Portsmouth القاعدة الرئيسة للأسطول البريطاني، وراقب مناورات السفن الحربية التي تعد من أضخم السفن في العالم آنذاك، وقد أقيمت المناورات له خصيصاً، ولذا فلم يخف إعجابه ودهشته قائلاً : " حياة الاميرال في بريطانيا اكثر مرحاً بكثير من حياة القيصر في روسيا ". لكن اهتمام القيصر بطرس لم يقتصر على شؤون الأسطول ، فقد اطلع على امور كثيرة أخرى، وقد تقابل بطرس مراراً مع الاسقف غلبرت بارنيت Bishop Gilbert Barnet ، وتحدث معه عن شؤون الكنيسة، وكان هذا المسؤول في الكنيسة الانجليكانية الذي بعثه اسقف كنتربري Canterbury للتحدث مع بطرس يتصور على ما يبدو في فترة ما ان بالامكان استمالة القيصر وبلاده إلى اعتناق البروتستانتية بشكلها الانجليكاني، فقد وصلت الى اوربا الغربية اخبار استهانة بطرس بالكنيسة الأرثوذكسية في روسيا ، وبعد عدة محادثات طويلة مع القيصر اخذ معه الاسقف انطباعاً جيداً قائلاً : " فالقيصر يتحلى بمستوى من المعارف لم اكن اتوقعه لديه ... فهو اما ان يهلك ، أو ان يغدو رجلاً عظيماً " . لكن بارنيت سرعان ما فهم بان آماله في استمالة بطرس والدولة الموسكوبية الى جانبه لا مبرر لها، فقد اهتم القيصر بنقطتين رئيستين له في روسيا في الكنيسة الانجليكانية: العلاقة بينها وبين سلطة الملك الدنيوية وأوضاعها المادية، وكان لا بد وان يعجب بما عرفه بهذا الخصوص: فالكنيسة الانجليكانية خاضعة بالكامل للدولة وليست لديها ممتلكات عقارية، اما في روسيا فالكنيسة بشخصية رجالها البطاركة والاساقفة وغيرهم ، وغالباً ما تعارض السلطة الدنيوية على سبيل المثال البطريرك يواكيم Patriarch Jochim الذي عارض بشدة الاختلاط بالأجانب، والاهم من ذلك أن الكنيسة الروسية تمتلك عقارات كبيرة مع كثير من الفلاحين الاقنان ، مما يشكل اساساً اقتصادياً لادعاءاتها وطموحاتها السياسية ، ولم يخف بطرس موقفه السلبي من الرهبان الروس الذين كانت افكارهم يكتنفها كثير من خصائص جهل العصور الوسطى(٣٨).

لم ينس القيصر اثناء جولته الهدف الرئيس الذي ترك بلاده من أجله، فكتب إلى البطريرك ادريان Patriarch Adrianقائلاً: " اننا نعمل على اتقان فن البحرية ، وعندما نستطيع تحقيق أهدافنا الرئيسة في

أوربا الغربية ، نعود إلى روسيا لنحارب أعداء المسيحية ، ونطلق اخوتنا المستعبدين من غير المسيحيين حرياتهم ، وهذا ما سأعمل له حتى آخر يوم في حياتي "(٣٩) .

بعد ان اطلع القيصر على الكنيسة الانجليكانية ازداد اهتمام بزيارة دييتفورد في حركة مصليات الكواكر، ففي الثاني من نيسان ١٦٩٨ تقابل وتحدث مع وليم بان William Ban ، الشخصية المعروفة في حركة الكواكر ومؤسس مستوطناتهم في أمريكا الشمالية (وتدل على ذلك تسمية احدى ولايات الشمال الشرقي في امريكا التي ظلت باقية حتى الآن)، وأعجب القيصر ببعض جوانب تعاليم الكواكر الدعوة للوئام والاخوة الشاملة وطهارة الانسان الاخلاقية ورفض الطقوس الكنسية، وقال القيصر بعد مرور (١٦) عاماً، في اعقاب زيارة لمصلى الكواكر في هولشتاين(٤٠) Holstein، قائلاً :" من يعش وفقاً لهذه التعاليم يذق طعم السعادة "(٤١).

واهتم بطرس بالنظام البرلماني البريطاني، ففي الثالث من نيسان ١٦٩٨، زار مبنى البرلمان واستمع إلى المناقشات في الجلسة المشتركة لمجلس اللوردات ومجلس العموم، ولم يبق ذلك سراً فقد قال احد الدبلوماسيين " ان ذلك قدم الحجة لشخص ما كي يقول انه رأى حالة نادرة في الدنيا ، رأى ملكاً على العرش وامبراطوراً على السطح ". ويبدو ان القيصر اهتم بذلك بكون أعضاء البرلمان لهم الحق بالتعبير عن آرائهم بحرية تامة بحضور الملك قائلاً : " من المفرح ان تسمع الرعايا يقولون الحقيقة لملكهم صراحة وبكل حرية دون قيود ، وهذا ما يتعين ان نتعلمه من البريطانيين".وكان القيصر قد طبق هذه القاعدة في مجموعته، حيث كان افرادها يعبّرون للقيصر بجرأة عما يفكرون فيه، فان رومودانوفسكي Romodanovsky، مثلاً لامه في رسالة بعثها إلى لندن على التشويش في قضية ما، وفيما بعد، عندما شكل القيصر مجلس السينات (الشيوخ) والهيئات التي حلت محل المديريات، طبق في عملها مبادىء المناقشة العامة الصريحة لجميع المسائل والشؤون واتخاذ القرارات بشأنها، الا ان ذلك كله بعيداً جداً عن النظام البرلماني والديمقراطية بالمعنى الأوربي الغربي للكلمة، فقد ظل بطرس طوال حياته حاكماً مطلقاً مستبداً ، قاسياً لا يعرف الرحمة احياناً(٤٢).

وأمضى القيصر وقتاً طويلاً في زيارة الجمعية الملوكية البريطانية وجامعة اكسفورد Oxford، وزار مراراً مرصد غرينويتش Kerynuiatsh، ودار سك النقود، وربما تكلم مع اسحق نيوتن الشهير الذي كان آنذاك يدير دار سك النقود، وأسفر اللقاء مع العالم الرياضي فيرغارسن Vergarsen عن اتفاق حول مجيئه إلى روسيا، وفيما بعد مارس هذا العالم دوراً هاماً في تدريس الرياضيات في مدرسة الملاحة والأكاديمية البحرية في روسيا، وزار القيصر ذات مرة ورشة الساعاتي الشهير كارتيه Carteih، واولع بعمله، ومالت أفكاره إلى تعلم صناعة الساعات لأنه رآها في لندن متقنة جداً وتحتاج إلى دقة واتساع عقل، فصرف وقتا على تعلم أصولها وأنواعها وتركيبها وتفكيكيها (٤٣).

لابد من الاشارة الى ان بطرس أكد على تعزيز علاقات الصداقة بين روسيا وبريطانيا، ورأى ان اكبر وسيلة لذلك استخدام جماعة منهم في بلاده، بل كان يرى ان البريطانيين يتمتعون بمهارة ومعرفة صناعية أكثر من غيرهم،لذلك أكد ركيزتين رئيستين هما : دوام محبة بريطانيا له، وركونهم الى ميله اليهم ، وترقية روسيا بمعارفهم وصنائعهم (٤٤). وكان من جملة الذين أدخلهم في خدمة دولته المهندس الماهر فرغسون الايقوسي Forgson Aliqusy الذي رتب العمليات الحسابية بديوان روسيا مع انهم كانوا قبلاً لا يعرفون هذا العلم، بل اصطلحوا على عادات التتار فيها وهي العدّ بحبوب مستديرة ينظمونها في سلك من النحاس، وهي وان كانت تقوم عندهم بالفرض المطلوب، الا انها كانت تذهب بكثير من الوقت، فضلا عما

كان يقع بسببها من تشوش الأذهان وحصر الأفكار والصعوبة في ضبطها، إذ أن بعد العدّ لا يعلم الإنسان هل غلط في عدّه اولاً ، ولهذا كانت كثيرة الأخطاء ، وقد رافق فرغسون شابان انكليزيان من مكتب الرياضيات للعمل في روسيا ، ولذا كان فرغسون له المقام الأول عند بطرس حتى أنه لازمه على الدوام حيث أنه كان يرصد وإياه الكواكب والاجرام ويحسب كسوف الشمس والقمر ، وكان المهندس بري Pree يشهد له بمعرفة علم الفلك معرفة كافية، وأعجب بمهارة القيصر وقال عنه ان بطرس انسان بارع جداً بمعرفة الاجرام السماوية وقوانين تجاذبها وحركتها ومعدل سرعتها، وقد نقل بطرس هذا الفن في بلاده وأجهد نفسه في ان يتعود أهلها عليه بواسطته يمكنهم من رفع الاعتقادات الخرافية من بينهم ، ومن ثم بعث بطرس بالمهندس بري الى دولته لعمل بعض قناطر وجسور على الأنهار الكبيرة، وربط الانهار بعضها بالبعض الآخر، وتخطيط خارطة جغرافية تسهل ربط بحر قزوين بالبحر الأسود والبحر المحيط بواسطة خلجان، إذ كان هذا الفكر يشغله على الدوام دون ان يفكر بما يحول دونه من الصعوبة في مثل تلك الأيام[٤٥].

مرّ القيصر بطرس بأزمة مالية خانقة اثناء رحلته إلى أوربا الغربية لا سيما في هولندا، ويعود ذلك لأسباب متعددة منها: نفقات المعيشة ، والتعاقد مع الأخصائيين وإرسالهم إلى روسيا، وشراء الكثير من الأدوات والمواد الضرورية، الأمر الذي أدى اقتراضه أموالا من التجار البريطانيين للصرف على البعثة، وتكبل بالديون، وخرج من هذه الأزمة بصفقة التبغ، فاللورد كارمارتن، الذي أعجب به القيصر الروسي اشد الإعجاب كان رجلاً عملياً للغاية، فبناءً على اقتراحه منحه بطرس حق احتكار تجارة التبغ في السوق الروسية، ومما يسترعي الاهتمام ان جماعة من التجار البريطانيين طلبوا من القيصر بطرس ان يسمح لهم ببيع التبغ في بلاده فيدفعوا عوضاً عن ذلك إلى خزينته خمسة عشر ألف ليرة ، وكان قبل ذلك الحين ممنوع بيع هذا الصنف في روسيا، حيث ان البطاركة كانت تزعم ان التدخين مخالف للقواعد والقوانين التي يرتكز عليها الدين المسيحي الأرثوذكسي، غير ان وجهة نظرة القيصر ان ذلك لا صحة له ، وان الدين لا يمنع قطعاً التدخين، ولا يتعلق أصلاً به ، وان سبب منعه كان أما من قبيل الغايات، أو لتنفيذ مآرب البطاركة الذين كانوا يتدخلون في جميع أمور الدولة ، فالذي يوافقهم صادقوا عليه ومنحوه امتيازات، والذي لا يوافقهم منعوه وحرموهم من تلك الامتيازات، مستندين الى انه مخالف لقواعد الدين المسيحي الأرثوذكسي[٤٦] وكان البطريرك ادريان، رئيس الكنيسة الأرثوذكسية الروسية، قد أصدر قبل رحيل بطرس إلى أوربا الغربية لعنة (يخشاها الروس أكثر من الاعدام) على التجار وابنائهم واحفادهم بسبب المتاجرة بالتبغ ، اما مجموعة قوانين عام ١٦٤٩ فقد نصت على عقوبة بسبب التدخين للمرة الأولى هي تعذيب المذنب وجلده بالسوط، وللمرة الثانية جدع انفه، ولم يمض على صدور تلك القوانين سوى خمسين عاماً، اما الذي وضع تلك القوانين الصارمة هو القيصر الكسي ميخائيلوفيتش[٤٧] Aleksei Mikhailovich، علاوة على ذلك ان ملاحقة مستخدمي" العقاقير الممقوتة " توقفت وعدت تجارة التبغ احتكاراً للخزينة ، وحصل على هذا الحق كذلك التجار الروس الذين عادوا على الخزينة بإرباح كبيرة ، وقد ازدادت الارباح ثلاث مرات دفعة واحدة بتسليم احتكار التبغ إلى اللورد كارمارتن، علاوة على ذلك ، ان القيصر استلم من اللورد سلفة قدرها (١٢) الف جنيه وسدد ديونه، واقتنى مشتريات جديدة، وكان من اللازم ان تصاغ صفقة التبغ في عقد، وما كان يحق لبطرس نفسه ان يوقع العقد لانه كان مجرد طالب بعثة، فأرسل نص العقد إلى المبعوثين الكبار في هولندا وقرأوه وفرحوا، ورحبوا بهذه الصفقة الرابحة ، كما قال فوزنيتسين Voznietsien، وتوجه غولوفين من امستردام إلى لندن لتوقيع عقد التبغ ، وفي الثامن عشر من نيسان ١٦٩٨ قام بطرس الكبير وغولوفين بزيارة

وداعية الى ملك بريطانيا، واهدى له القيصر الروسي ماسة عظيمة في ختام اللقاء والحديث ، وبعد اسبوع غادر بطرس هذا البلد[٤٨].

وفي زيارة بطرس إلى بريطانيا قال ماكولي Makoley المؤرخ البريطاني المعروف في القرن التاسع عشر : " ان رحلة القيصر بطرس الكبير إلى دول أوربا الغربية شكلت مرحلة هامة وفاعلة ليس في تاريخ بلاده فقط ، بل وفي تاريخ بريطانيا ، والبشرية جمعاء ". وقد أشار في هذا القول إلى جانبين: الجانب الايجابي النافع الذي عرفه ودرسه بطرس في بريطانيا، وكذلك الجانب السلبي الذي رافق بقاءه في الجزر البريطانية الغائمة، فلم يكن جو رحلته صافياً، كتب السفير النمساوي اوبرسبيرغ Aubersberg في لندن إلى الإمبراطور ليوبولد الاول Leopold I[٤٩] بخصوص زيارة بطرس الوداعية إلى الملك قائلاً : " انحنى القيصر للملك وليم الثالث وعبر له بصدق واحترام عن صداقته الدائمة ، الا انه عرف بان سكرتير اللورد باجيت **Paget** السفير البريطاني في اسطنبول، وصل حاملاً بعض اقتراحات الصلح مع الدولة العثمانية، فعبر عن استيائه ، لان الملك لم يخبره بذلك ، ويرى القيصر ان اوان الصلح لم يحن بعد ، وسيعارض توقيعه في الاغلب عندما يصل إلى بلاط جلالتكم ". والمقصود هنا الحلف المقدس بين النمسا وبولونيا والبندقية وروسيا ضد الدولة العثمانية والقرم ، والذي أصبح مهدداً بالخطر، كما علم بطرس ومبعوثوه الكبار، ان النمسا اجرت بتأييد من بريطانيا والبلدين الاخرين مفاوضات مع الدولة العثمانية العالي بشأن الصلح، ولم يخبروا بطرس بذلك اطلاقاً، وهو مشغول بسفنه ومونوفاتوراته، وهذا دليل واضح ان للدول الأوربية لم تعطي لروسيا مكانة هامة في المسرح الدبلوماسي الأوربي، وكان يتعين على بطرس ان يتعلم كثيراً من الحيل والاسرار الدبلوماسية والحساب الدقيق، في هذا الميدان ايضاً، وقد عرف غدر وكذب ورياء الدبلوماسيين الأوربيين، ورسم في أوربا توزيع جديد للقوى[٥٠] وكانت حرب جديدة تقترب هي حرب الوراثة الاسبانية[٥١] War of Spanish Succession ، فاحتدم الصراع بين النمسا وفرنسا من اجل العرش الاسباني، وتم عقد معاهدة في ريسويك الهولندية في العشرين من ايلول ١٦٩٧م بين فرنسا من جهة وألمانيا واسبانيا وبريطانيا وهولندا من جهة ثانية، التي أنهت تحالف اوغسبورغ League Augsburg، وأقرت هذه المعاهدة لفرنسا امتلاك بلاد الالزاس واستراسبورغ[٥٢]. وقد أرسل بطرس رسالة الى فينيوس قيّم القيصر بدقة كبيرة معاهدة ريسويك وما كان سيعقبها قائلاً : " تم توقيع الصلح مع الفرنسيين ، وجرى الاحتفال به في لاهاي قبل ثلاثة ايام بألعاب نارية، الاغبياء فرحون جداً ، والاذكياء يتوجسون خيفة من ان الفرنسيين خدعوهم ويتوقعون حرباً جديدة في القريب العاجل، وسأكتب عن ذلك بمزيد من التفصيل "[٥٣].

وقبل بداية البعثة الكبرى أكدت روسيا والنمسا والبندقية شروط تحالفها، الا ان كل ذلك مهدد بالخطر الان، فالدول الأوربية بما فيها النمسا والبندقية حليفتا روسيا، وكذلك حكام بريطانيا وهولندا الذين استقبلوا بطرس بحفاوة وترحاب مارسوا من خلف ظهره لعبة دبلوماسية نشيطة موجهة ضد روسيا، فقد ارادوا ان يتركوها لوحدها ضد الدولة العثمانية لتشاغل قواتها الحربية حتى يستطيع جيش النمسا ان ينتقل بالكامل لمحاربة فرنسا من الاستئثار بالعرش الاسباني، وهذا هو سبب " الوساطة السلمية " لبريطانيا وهولندا من اجل وقف الحرب بين النمساويين والعثمانيين، ولم تسفر مقاومة فرنسا في اسطنبول عن نتيجة، واخذ بطرس يتابع تطور الاحداث ، حيث ان مخبراً سرياً فضح نية السلطان العثماني مصطفى الثاني[٥٤] في إرسال مبعوثين لمفاوضات الصلح مع الإمبراطور، وفهم بان اتجاه تلك الاحداث يحكم بالفشل مسبقاً على محاولاته لعرقلتها والتأثير عليها، ولذا ظل القيصر يدرس نظرية بناء السفن وغير ذلك من الأمور الضرورية التي ستنفعه فيما بعد هذه المعارف، وتنفع روسيا لدرجة كبيرة في بلوغ أهدافها، بما في ذلك أهداف السياسة الخارجية[٥٥].

أهدى وليم الثالث الى القيصر بارجة بحرية جميلة جداً متقنة الصنعة، مركب عليها كان من عادته ركوبها عند سفره إلى الدانمارك، وعاد إلى بلاد الفلمنك(٥٦) Flmands في شهر اذار ١٦٩٨، واخذ معه ثلاثة من رباني السفن الحربية وعشرين قبطاناً واربعين ضابطاً وثلاثين جراحاً ومائتين وخمسين من الطهاة وأكثر من ثلاثمائة رجل من ارباب الصنائع والحرف المتنوعة وهؤلاء ركبوا البحر في هذه السفينة ، وساروا من بلاد الفلمنك إلى ميناء اركانجل، ومنها وزعهم إلى أماكن متعددة بحسب الحاجة التي كان يراها، وبعث بالذين كانوا قد دخلوا بخدمته وهو ببلاد الفلمنك على السير في طريق نرما Nerma ، التي كانت تحكم من قبل السويد، وسافر الجنرال شرمتوف Shermtov، رئيس البعثة الى روما Roma والى نابولي، ثم الى البندقية ومنها الى جزيرة مالطا Malta ، ورحل بطرس إلى النمسا مع اتباعه وكان الهدف الرئيس من ذلك، معرفة ما تمتلك هذه الدولة من المعارف والفنون والعلوم العسكرية والروابط الحربية، وقد أوضح القيصر ان الهدف الرئيس من رحلته الكبرى إلى الدول الأوربية الغربية ، ليس تعلم المعارف والصنائع فقط، بل معرفة احوال هذه الدول سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وامكانياتها المادية، واجتمع بالامبراطور النمساوي ليوبولد الاول، إذ كان بطرس قد التقى به وهو كأحد الناس أي بغير صفته الرسمية (٥٧).

لم ير بطرس في بلاد النمسا من المناورات الحربية والألعاب العجيبة ما يستحق الذكر الا الموسم المسمى بموسم المضيف والمضيفة، وهذا الموسم كان قد بطل عندهم قبلاً، إلا أن ليوبولد جدده، حباً بضيفه الجديد وهو على الاصطلاح الآتي: " ان الامبراطور والامبراطورة وابنهم الأكبر الملقب بملك الرومانيين وبقية أولادهم يستقبلون الضيوف في كل غرفة، بحيث يتزين كل منهم بزي امة معينة ويلبس ملابسها، وبالقرعة يأخذ كل منهم ورقة من جملة الأوراق مكتوب عليها اسم تلك الامة وكيفية لبسها، وقد يتفق ان الاميرة ترتدي زي فلاحة والأمير كذلك، ومن ثم يذهبون إلى غرفة الرقص ويرقصون وهم بتلك الصفات المتنوعة، وكل واحد منهم يتصرف بحسب عادات وتقاليد تلك الأمة الذي يرتدي ملابسها بقدر استطاعته، وكان الامبراطور والامبراطورة النمساويين يقومان بخدمة ضيوفهما ولا سيما وهما على المائدة. هكذا كان الموسم الذي حضره بطرس في بيت الإمبراطور النمساوي(٥٨).

بعد ان قضى القيصر اياماً في النمسا، عزم السفر الى البندقية، حيث تشتهر بصناعة السفن المتطورة، وتوجد فيها ترسانات للسلاح، وأساطيل مجاذفية كبيرة، ويمكن الاطلاع عليها والاستفادة منها ، ومن هناك يمكنه السفر إلى روما ومن ثم إلى فرنسا، وفي الخامس عشر من تموز ١٦٩٨، استعد بطرس لركوب العربة كي يسافر إلى البندقية إلا أن رسالة جديدة وصلته من الأمير الحاكم رومودانوفسكي في موسكو أثرت في تنظيم خططه، فقد كتب الأمير عن عصيان القساوسة الذين ادعوا ان كل ما أحدثه بطرس هو من قبيل الكفر والإلحاد، وانضم إليهم حزب الأميرة صوفيا التي كان لها اثر كبير في تحريض الأهالي على الثورة والخروج حتى أدخلت الشك في نفوسهم من دخول الأجانب إلى روسيا ، واخذوا يتذمرون من ذلك إلى ان سمح بطرس بدخول التبغ إلى البلاد وبيعه فيها ، الأمر الذي أدى إلى استياء القساوسة ، إذ كانوا مرغمين على ذلك، ثم ان هذه الاوهام سرت من الأهالي كالوباء إلى الاسترلش الذي بلغ عددهم نحو (١٧٥) مقاتل وكانوا منتشرين على ضواحي ليتوانيا (٥٩) فاجتمعوا وتوجهوا الى موسكو عازمين على ارجاع الاميرة صوفيا الى الدير وتوليتها على الملك، ومنع القيصر بطرس من دخول البلاد ، حيث تجاسر على هتك حرمة عاداتهم القديمة ، وبسبب هذه الفتنة حدثت معارك جمة بين الثائرين والعساكر المنظمة التي هي تحت قيادة الجنرالين سين وغوردون، وكانت النتيجة النهائية لهذه المعارك، انتصار العساكر وابعاد الثائرين عن مدينة موسكو، وعند وصول هذه الاخبار الى بطرس ، وهو في بلاد النمسا ، انسحب بطريقة سرية إلى بلاده

لإطفاء نار تلك الفتنة ، فمر في اثناء طريقه على بولونيا واجتمع بالملك اغسطس بطريقة سرية ، ودبر معه ما يكون به اتساع بلاده من جهة بحر البلطيق ، ثم سار من هناك ودخل موسكو بغتة دون ان يشعر به احد، فتعجب الجميع من ذلك، وفي الحال باشر العمل بنفسه، وكانت الفتنة مستمرة، ولكن كان النصر يها لعساكر بطرس، وقد قبضوا على كثير من الثائرين وزجوا في السجون، وقد كافأ القيصر العساكر والقواد المنتصرين مكأفاة حسنة، وقتل كثير من القواد الثائرين، ومن القساوسة والاساقفة، ومنهم من أماتهم بمرور العجلات عليهم وهم ملقون إلى الأرض، ودفن امرأتين وهما على قيد الحياة ، وعلق كثيراً منهم على الأسوار ، وأبقى كثيراً من جثث القتلى في الأسواق مدة يومين، ولا سيما حول الدير التي كانت فيه الأميرة صوفيا ، وأقام أعمدة من الحجر نقش عليها جناياتهم وعقوباتهم ، وبدد شمل من كان معهم بمدينة موسكو من أولادهم ونسائهم ، فانتشروا في سيبيريا واسترخان وازوف[٦٠].

وكانت حصيلة بطرس الكبير من رحلته إلى دول اوربا الغربية ابرام العقود الرسمية مع ألف من العمال والفنيين الأوربيين الذين يتمتعون بمهارات فائقة في صناعة السفن الحربية والتجارية الكبيرة[٦١] واستقدام كثير من الحرفيين والمهندسين ورجال العلم والبنائين ورباني السفن والمدربين العسكريين، بعد ان يختبر مهارتهم ويبعث بهم إلى موسكو ليساعدوه في ترقية روسيا [٦٢]. وكذلك أرسل القيصر لدولته سفن عدة مجهزة بمدافع حربية، أسهم في صناعة بعضها بنفسه على الطراز العسكري البريطاني [٦٣] علاوة على ذلك اكتساب الخبرات الأوربية ومحاولة تطبيقها في روسيا، إذ فتحت في موسكو مدرستان: مدرسة المدفعية، ومدرسة العلوم الرياضية والبحرية، ودرس الشباب الشؤون البحرية والعلوم العسكرية، وبدأ بطرس الكبير بإنشاء مصانع الحديد في الاورال، للارتقاء بالدولة الروسية وجعلها في مصاف دول أوربا الغربية المتقدمة[٦٤].

اهم النتائج التي توصل اليها الباحث[٦٥]:

اولاً : كشفت الدراسة ان الانفتاح على دول العالم الخارجي من اهم متطلبات النجاح للنهوض بالدولة الروسية وانقاذها من الجهل والتخلف، وتحقيق التقدم السياسي والاقتصادي والعلمي والحضاري من خلال تنشيط رحلات القياصرة الروس والبعثات العلمية إلى دول اوربا الغربية.

ثانياً: أوضحت الدراسة ان اهتمام القيصر بطرس الكبير بالحضارة الأوربية ينطلق من استعمالها كأداة توصله لتحقيق غاية وهي خلق جيش قوي مسلحاً تسليحاً عسكرياً، وإنشاء دولة حديثة متطورة بمختلف العلوم والفنون تستطيعان الوقوف بوجه الدول الأوربية الغربية اولاً، والحصول على موانئ بحرية في المياه الدافئة على بحري البلطيق والأسود للتخلص من المصاعب التي يلاقيها الروس في اعتمادهم على ميناء اركانجل الذي تتجمد مياهه معظم أوقات السنة وهو الطريق الوحيد إلى أوربا ثانياً.

ثالثاً: إن رحلة القيصر إلى أوربا حققت نجاحاً في الجوانب العلمية والاقتصادية والعسكرية، إلا أنها فشلت في انجاز ما خططت له الدبلوماسية في عقد تحالف روسي مسيحي ضد الدولة العثمانية.

رابعاً : صرفت هذه الرحلة اهتمام القيصر عن العثمانيين إلى مسائل وقضايا أخرى، فقد لاحظ انه في العديد من دول البلطيق من بينها، بروسيا، وبولندا، والدانمارك وجود نمو متزايد لفكرة الحرب مع السويد، التي كانت آنذاك تحكم سيطرتها على القسم الأكبر من ساحل البلطيق، فاستثمر القيصر هذا الموقف ، وقرر الاشتراك في الصراع، وتبعاً لذلك تغيرت فكرته عند رحلته إلى أوربا، بدلا من محاربة العثمانيين، رجع بفكرة محاربة السويديين.

خامساً: أوضحت الدراسة ان القيصر نجح في دراسة مختلف العلوم كالطبيعيات والرياضيات والعلوم العسكرية والشؤون البحرية ، واكتساب الخبرات الصناعية والفنية من المجتمعات الأوربية في هولندا وبريطانيا وألمانيا ومحاولة تطبيقها في روسيا، ولاسيما في صناعة السفن التجارية والحربية الكبيرة، وتمكن ايضاً من الحصول على الكثير من الأسلحة والآلات، والكتب العلمية والخرائط الجغرافية وترجمتها من مختلف اللغات إلى اللغة الروسية، واستقدام العديد من الحرفيين والمهندسيين والعلماء والأطباء، وخبراء المدفعية في روسيا.

التوصيات

اولاً : تنشيط الرحلات الملكية إلى دول العالم، وارسال البعثات العلمية من مختلف الاختصاصات العلمية والانسانية للاستفادة من علومها وفنونها والاقتباس من معالمها الحضارية ومواكبة التقدم العلمي والصناعي ومحاولة تطبيقها في مختلف مجالات الحياة .

ثانياً : يجب على كل دولة من دول العالم الاهتمام بالجيش وتنظيمه وتدريبه من خلال استقدام الخبراء العسكريين الأجانب، وتسليحه تسليحاً حديثاً من مختلف الدول من جهة، وارسال الشباب إلى كليات العلوم العسكرية في دول العالم المختلفة ، للتزود بالنظريات، والحقائق، ، وتنشيط الترجمة في مختلف اللغات، والاطلاع على التقنيات الحديثة من جهة اخرى، لان الجيش يدعم الحكومة ويسندها من اجل تحقيق الاستقرار الداخلي للبلاد ، ويمثل القوة الضاربة للأعداء.

ثالثاً : تعزيز العلاقات الدولية وتقوية الصداقة من خلال تنشيط الزيارات المتبادلة بين السفراء الدبلوماسيين والعلماء والمترجمين والخبراء العسكريين والصناعيين، للتزود من معارفهم وآرائهم وأفكارهم وتجاربهم واختراعاتهم وخبراتهم العلمية والعملية.

الهوامش

(١) شعيب، علي: بطرس الاكبر قيصر روسيا، (منشورات الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٢)، ص٥؛

-Dukes, Paul, A History of Russia Medieval, Modern, Contemporary ,(London,1974) ,pp6-64.

(٢) للمزيد من التفاصيل ينظر: سليمان، علي حيدر : تاريخ الحضارة الأوربية الحديثة، (منشورات دار واسط للدراسات ، بغداد، ١٩٩٠)، ص١٣٦؛ فشر، هــ.أ. ل : تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ترجمة: محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني، (دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ،١٩٦٦) ، ص٤٠٦– ٤٠٧ ؛ قاسمية ، خيرية : روسية القيصرية والمشرق العربي ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان التاسع والعاشر، تشرين الأول ،١٩٨٢، ص٤٣؛

-Kuskov , Vladimir , A History of old Russian Literature , Translated from the Russian by Ronald Vroon , (Moscow , 1977) , p. 72 .

(٣) للمزيد من التفاصيل ينظر: عمران، محمود سعيد : المغول وأوربا، (منشورات دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ، ١٩٩٧)، ص١٧٩-١٩٠؛

-Spuler , Bertold , History of the Mongols Based on Eastern and Western Accounts of the Thirteenth and Fourteenth Centuries , Translated from the German by Helga and Stuart Drammond , (London , 1968) , pp. 6-10; Beatrice,Forbes,Manz,Mongol History rewritten and relived, (Tufls University Medford Mass, 2000), Jouranli: Revue des mondes musulmans,p.1-14 by www.ivsl .org.

(٤) التكريتي ، هاشم صالح مهدي : روسيا ١٧٠٠-١٩١٤ ، (بغداد ، د. ت) ، ص١٩.

(٥) اركانجل : من أهم موانئ البحر الأبيض الشمالي تربطه قناة ملاحية ببحر البلطيق عند لينيجراد ، تتجمد مياهه من (شهر تشرين الثاني إلى ايار) ، وله أهمية كبيرة في الصيد وتصدير الأخشاب إلى دول العالم.

http:ll Encyc.reefnet.gov.sy.

(٦) بالمر، روبرت: تاريخ العالم الحديث أوربا: من القرون الأولى حتى سنة١٧٤٠ ، ترجمة: محمود حسين الأمين، (منشورات مكتبة الوفاء، الموصل ،١٩٦٣) ،ص٢٦٥.

(٧) روريك: اسرة تعود بأصلها من الكلمة الاسكندنافية القديمة الفارياغ Vaeringiar وهم امراء اسكندنافيون استدعوهم الامراء الروس السلافيين للخدمة في الكتائب السلافية العسكرية في القرنين التاسع والحادي عشر، فتولى روريك نفغورود وأسس فيها أسرة روريك الحاكمة. للمزيد من التفاصيل ينظر : دوغين، الكسندر: أسس الجيوبولتيكا مستقبل روسيا الجيوبولتيكي، ترجمة: عماد حاتم ، (دار الكتاب الجديد المتحدة ، طرابلس، ٢٠٠٤) ، ص٢٣٩؛

-Gibbon, Edward, The Decline and Fall of The Roman Empire , Vol .III, (New York , N. D),p.331.

(٨) شعيب : المصدر السابق، ص٧.

(٩) بطرس الكبير (١٦٨٢-١٧٢٥) : عزمها على الاحتفاظ به، فقام بمساعدة أعوانه بالهجوم عليها وحبسها في احد الأديرة، واعتلى عرش روسيا في العام نفسه. للمزيد من التفاصيل ينظر : سنيوبوس، شارل: تاريخ التمدن الحديث، ترجمة: الكاتب المحجوب قيصر روسيا ، امتاز بالذكاء ، وكان من المفروض ان يظل تحت وصاية والدته، ولكن اخته صوفيا استولت على الوصاية، واحتفظت بها مدة سبع سنوات، وفي عام ١٦٨٩، عرف بطرس ان اخته قد أعطت نفسها لقب القيصرية، وأنها أعلنت، (مطبعة الهلال، القاهرة ، ١٩٠٩)، ص١٢؛ شعيب : المصدر السابق ، ص٨-٩؛

See : Encyclopaedia Britannica , anew survey of universal knowledge , Vol.6 , (London, 1966) , p.157; De Grunwald, Constantin, Peter the Great , Translated from the French by Viola Garvin, (London,1956),.p.60.

(١٠) شعيب ، المصدر السابق ، ص٩.

(١١) روبرت ، كونكواست : ادراك الحقائق عن روسيا ، (منشورات الدار الحديثة ، بيروت ، د. ت) ، ص١٦؛البطريق ، عبد الحميد وعبد العزيز نوار : التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا ،(منشورات النهضة العربية ، بيروت، ١٩٧٤) ، ص٢٥٣.

(١٢) يحيى ، جلال : التاريخ الاوربي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الاولى ، ج٢ ، (منشورات المكتب الجامعي ، الاسكندرية ، د. ت) ، ص١١١.

(١٣) فيشر ، هربرت : أصول التاريخ الأوربي الحديث من النهضة الأوربية إلى الثورة الفرنسية ، (منشورات دار المعارف ، ط٣، القاهرة ، ١٩٧٠) ، ص٣٦٨؛

-Paxton, John , Leaders of Russia and the Soviet Union from the Romanov Dynasty to Vladimir Putin ,(London , 2004),p.16.

(١٤) للمزيد من التفاصيل ينظر : بانيكار ، ك.م. : آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد ، (منشورات دار المعارف ، القاهرة ، د.ت) ، ص٢٤٧-٢٤٨؛ العاني ، نوري عبد الحميد : تاريخ الصين الحديث ١٥١٦-١٩١١، (بغداد ، ٢٠٠٣) ، ص٥٦.

(١٥) الكسييف، سرجـــي : قصص من التاريخ الروسي، ترجمة : ماهـــــر عسل ، (دار التقدم ، موسكو ، ١٩٧٥) ، ص٥٩ ؛ بوغانوف ، فكتور : حياة بطرس الاكبر ، (منشورات دار التقدم ، موسكو، ١٩٩٠) ، ص٧٥؛ العسلي ، بسام : بطرس الأكبر (١٦٧٢– ١٧٢٥) ، (منشورات المؤسسة العربية، بيروت،١٩٨٠)، ص٣٨.

(١٦) بوغانوف : المصدر السابق ، ص٧٦؛

-Vernadsky , George , A History of Russia , (Oxford University press ,1951) ,p.94.

(١٧) برون، جفري: تاريخ أوربا الحديث، ترجمة: علي المرزوقي، (المطبعة الاهلية، عمان ، ٢٠٠٦)، ص٣١٤.

(١٨) الاسترلش : قوات عسكرية شكلت اغلبية الجيش الروسي ، وقد اتخذ القياصرة منها حرساً لهم ، أوكل إليها واجبات أمنية محلية في العاصمة والقرى والمدن.

See: Stone ,David , A Military History of Russia from Ivan the Terrible to the War Chechnya , (New York ,1968),p.50 , By www.ivsl.org ; De Grunwald,op.cit.,p.94-96.

(١٩) الشمري، مشعل مفرح ظاهر: روسيا القيصرية في عهد القيصر بطرس الأكبر (١٦٨٩–١٧٢٥)، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٦ ، ص٥٣؛

-Florinsky, Michael, Russia A History and An Interpretation, (New York,1955) , p.324.

(٢٠) للمزيد من التفاصيل عن الصراع حول العرش الاسباني ينظر: ابو علية، عبد الفتاح واسماعيل احمد ياغي: تاريخ اوربا الحديث والمعاصر، (منشورات دار المريخ، الرياض، ١٩٩٢)، ص١٨٧–١٩٠.

(٢١) بوغانوف : المصدر السابق ، ص٧٦–٧٧.

(٢٢) شعيب : المصدر السابق ، ص٢٠.

(٢٣) بوغانوف : المصدر السابق ، ص٧٧ ، ٧٩.

(24) Clarkson , Jesse, A History of Russia from the Ninth Century, (London,1961) ,p.220.

(٢٥) فردريك الثالث (١٦٨٨–١٧١٣) : حاكم براندنبرج وبروسيا عام ١٦٨٨م ، وحصل على لقب ملك بروسيا عام ١٧٠١ . للمزيد من التفاصيل ينظر : الاسكندري ، عمر وسليم حسن: تاريخ أوربا الحديثة وأثار حضارتها، (مطبعة المعارف، القاهرة ،١٩٢٠) ، ص٢٠٤ ؛

-Littlefield, Henry, History of Europe 1500–1848 (New York ,1874) ,pp.79-80.

(٢٦) بوغانوف : المصدر السابق ، ص٧٩ –٨٥؛

–Florinsky,op.cit.,p.321.

(٢٧) أندرسون، ماتيو: تاريخ أوربا في القرن الثامن عشر، ترجمة : نور الدين حاطوم ، (منشورات دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦) ، ص٢٤٦.

(٢٨) بوغانوف : المصدر السابق ، ص٨٥.

(٢٩) أبو علية ، عبد الفتاح حسن : تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، (منشورات دار المريخ ، القاهرة ،٢٠٠٧) ص١٩٣–١٩٤، ٢١٩ ؛ بوغانوف : المصدر السابق ، ص٧٧ –٨٢ ؛ فيشر : المصدر السابق ، ص٢٩٧؛

-Bushkovitch , Paul , Peter the Great The struggle for Power, 1671-1725 , (Cambridge University press,2004),p.157; Littlefield, op.cit. ,pp.62-63.

(٣٠) ريسويك : بلدة في هولندا ، وتكتب بالهولندية Ruswyk .

See : Littlefield,op.cit.,p.62.

(٣١) مجلة الهلال: بطرس الأكبر قيصر روسيا (١٦٧٢–١٧٢٥) ،ج٤، العدد الأول، كانون الأول، ١٨٩٢، ص١٠٨؛ بوغانوف : المصدر السابق ، ص٨٦–٨٧.

(٣٢) شعيب : المصدر السابق ، ص٢١-٢٢.

(٣٣) بوغانوف : المصدر السابق ، ص٨٧–٨٩؛

-Mazour, Anatole G. , Rise and Fall of the Romanovs , (London , 1960), p.35 ;Grunwald,op.cit.,p.91.

(٣٤) شعيب : المصدر السابق، ص٢٣–٢٥.

(٣٥) بوغانوف : المصدر السابق ، ص٨٩–٩١.

(٣٦) أبو العينين، حسن سيد احمد: أوربا (دون روسيا الاتحادية) دراسة جغرافية إقليمية، (الكويت، ١٩٩٨) ، ص٢٣٧–٢٣٨؛ بوغانوف : المصدر السابق ، ص٩١–٩٣؛

-Florinsky,op.cit.,p.322.

(٣٧) بوغانوف : المصدر السابق ، ص٩٣–٩٥؛

-Florinsky,op.cit.,p.326.

(٣٨) بوغانوف : المصدر السابق ، ص٩٦-٩٧.

(٣٩) العسلي : المصدر السابق ، ص٣٩.

(٤٠) هولشتاين : مقاطعة في شمال المانيا كانت تابعة للدانمارك، وقد ضمتها بروسيا اليها عام١٨٦٤.

الخوند، مسعود: الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٣، (منشورات دار النهضة، بيروت، ١٩٩٤)، ص١٠٨.

(٤١) بوغانوف : المصدر السابق ، ص٩٧–٩٨.

(٤٢) علي ، ادهم : بطرس الاكبر ومكانته في تاريخ روسيا ، مجلة العرب ، العدد ١٣، تشرين الثاني ، ١٩٦٩، ص٦٢؛ أبو علية: المصدر السابق، ص١٩٣–١٩٤؛ بوغانوف : المصدر السابق ، ص٩٨.

(٤٣) شعيب : المصدر السابق ، ص٢٥؛ بوغانوف : المصدر السابق ، ص٩٩؛

See : Mary , Platt ,Parmele , A Short History of Russia , (New York , 1907) ,pp.45-46, By www.ivsl.org; Florinsky,op.cit.,p.322.

(٤٤) الشمري : المصدر السابق ، ص٥٧؛ شعيب : المصدر السابق ، ص٢٦-٢٧.

(٤٥) شعيب : المصدر السابق ، ص٢٦-٢٧؛

- Mary,op.cit.,p.45.

(٤٦) بوغانوف : المصدر السابق ، ص١٠٠؛ شعيب : المصدر السابق ، ص٢٧.

(٤٧) الكسي ميخائيلوفيتش (١٦٤٥–١٦٧٦) : قيصر روسيا وهو والد بطرس الكبير، سعى إلى تعزيز نظام الحكم المطلق، وكان القيصر له الحق في اصدار القوانين وإدارة الشؤون المالية والقضائية والإدارية والعسكرية بوساطة المستشارين والقواد وأعضاء دوما البويار ممثلو الطبقة الارستقراطية العريقة وهم أحفاد أمراء الأقاليم الذي يعينهم من أقربائه والمحبين إليه، فشكلوا مجلس لديه مهمتهم معالجة قضايا الدولة مع القيصر.

See: Hingley, Ronald,The Tsars 1533-1917, (New York ,1968), pp.93-104; Dukes,op.cit.,p.70.

(٤٨) بوغانوف : المصدر السابق ، ص١٠٠–١٠١.

(٤٩) ليوبولد الاول (١٦٤٠–١٧٠٥) : ولد في فينا، أصبح إمبراطورا للامبراطورية الرومانية عام ١٦٥٧ م ، وزج المانيا في حرب الوراثة الاسبانية (١٧٠٢–١٧١٣) ، وتوفي قبل أن تصل الحرب الى نهايتها .

See: Beik, Paul H. and Laurence Lafore, Modern Europe A History Since 1500, (New York ,1961), p. 237 ; http:llar.wikipedia.org ; Littlefield, op.cit. ,pp.62.

(٥٠) بوغانوف : المصدر السابق ، ص١٠١-١٠٢.

(٥١) للمزيد من التفاصيل عن حرب الوراثة الاسبانية (١٧٠٢ – ١٧١٣) ينظر : نعمة ، يونس عباس : سياسة بريطانيا تجاه مستعمراتها في امريكا الشمالية (١٧٦٣ – ١٧٧٦) ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية، جامعة بابل ، ٢٠٠٦ ، ص٤٠؛

-Littlefield, op.cit. ,pp.62-63; Beik,op.cit.,pp.222-224

(٥٢) العسلي ، بسام : فن الحرب الاسلامي في العهد العثماني، المجلد الخامس، (دار الفكر، د.م ، د.ت) ، ص١٩٩؛

-Littlefield, op.cit. , p.62.

(٥٣) بوغانوف : المصدر السابق ، ص١٠٣-١٠٤.

(٥٤) مصطفى الثاني (١٦٩٤-١٧٠٣م) : سلطان عثماني شهد عهده بداية الانسحاب العثماني من اوربا. ينظر : الصلابي، علي محمد: الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط، (منشورات المعرفة ، بيروت، ٢٠٠٥) ، ص٣٣٨-٣٣٩.

(٥٥) بوغانوف : المصدر السابق ، ص١٠٤-١٠٥.

(٥٦) الفلمنك: هم سكان الفلاندر (Flander)، او البلاد المنخفضة والمعروفة الان باسم هولاندا .

للمزيد من التفاصيل ينظر : العسلي : فن الحرب الاسلامي في العهد العثماني ، ص١٧٠.

(٥٧) شعيب : المصدر السابق ، ص٢٨-٢٩.

(٥٨) المصدر نفسه ، ص٢٩-٣٠.

(٥٩) مجلة الهلال : المصدر السابق ، ص١٠٩؛ بوغانوف : المصدر السابق ، ص١١١.

(٦٠)) شعيب : المصدر السابق ، ص٣١-٣٢؛

-Stone,op.cit.,p. 50.

(٦١) البطريق : المصدر السابق ، ص٢٥٤.

(٦٢) برون : المصدر السابق ، ص ٣١٤؛ مجلة الهلال : المصدر السابق ، ص١٠٩؛ بالمر : المصدر السابق ، ص٣٦٥.

(٦٣) الشمري : المصدر السابق ، ص ٥٨؛

-Florinsky,op.cit.,p.322.

(٦٤) يبيفانوف، فيدوسوف: تاريخ الاتحاد السوفيتي، ترجمة : خيري الضامن ونيقولا الطويل، (دار التقدم ، موسكو، د.ت) ، ص٢٠١.

(٦٥) فرنادسكي، جورج : تاريخ روسيا، ترجمة : عبد الله سالم الزليتني، (المكتب الوطني للبحث والتطوير، طرابلس، ٢٠٠٧) ، ص١٥٥-١٥٦؛ التكريتي: المصدر السابق، ص٢٠؛ مجلة الهلال : المصدر السابق ، ص١٠٩؛ بالمر : المصدر السابق ، ص٣٦٥؛

-Sumner B.H. , Peter The Great and the Ottoman Empire, (Oxford University - press,1949),p.18; Pennington, D. H., Europe in the Seventeenth Century, (London, N. D) ,p.434; Vernadsky,op. cit.,p.95; Mary,op.cit.,p.46.

المصادر

اولاً : الكتب العربية والمعربة

ابو علية،عبد الفتاح واسماعيل احمد ياغي: تاريخ اوربا الحديث والمعاصر، (منشورات دار المريخ، الرياض، ١٩٩٢) .

ابو علية ، عبد الفتاح حسن : تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، (منشورات دار المريخ ، القاهرة ،٢٠٠٧) .
ابو العينين، حسن سيد احمد: أوربا (دون روسيا الاتحادية) دراسة جغرافية إقليمية، (الكويت، ١٩٩٨) .
الاسكندري ، عمر وسليم حسن: تاريخ أوربا الحديثة وأثار حضارتها، (مطبعة المعارف، القاهرة ،١٩٢٠).
اندرسون ، ماتيو: تاريخ أوربا في القرن الثامن عشر، ترجمة : نور الدين حاطوم ، (منشورات دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦).
بالمر ، روبرت: تاريخ العالم الحديث أوربا: من القرون الأولى حتى سنة١٧٤٠ ، ترجمة: محمود حسين الأمين، (منشورات مكتبة الوفاء، الموصل ،١٩٦٣).
بانيكار، ك.م.:آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد ، (منشورات دار المعارف، القاهرة، د.ت).
برون، جفري: تاريخ أوربا الحديث، ترجمة: علي المرزوقي، (المطبعة الاهلية، عمان ، ٢٠٠٦).
البطريق ، عبد الحميد وعبد العزيز نوار : التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، (منشورات النهضة العربية ، بيروت، ١٩٧٤).
بوغانوف، فكتور : حياة بطرس الاكبر ، (منشورات دار التقدم ، موسكو، ١٩٩٠) .
التكريتي ، هاشم صالح مهدي : روسيا ١٧٠٠-١٩١٤ ، (بغداد ، د. ت) .
دوغين ، الكسندر: أسس الجيوبولتيكا مستقبل روسيا الجيوبولتيكي، ترجمة: عماد حاتم ، (دار الكتاب الجديد المتحدة ، طرابلس،٢٠٠٤).
روبرت ، كونكواست: ادراك الحقائق عن روسيا ، (منشورات الدار الحديثة ، بيروت ، د. ت).
سليمان، علي حيدر: تاريخ الحضارة الأوربية الحديثة، (منشورات دار واسط للدراسات ، بغداد، ١٩٩٠).
سنيوبوس، شارل: تاريخ التمدن الحديث، ترجمة: الكاتب المحجوب، (مطبعة الهلال، القاهرة ،١٩٠٩).
شعيب، علي: بطرس الاكبر قيصر روسيا، (منشورات الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٢).
الصلابي،علي محمد: الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط، (منشورات المعرفة ، بيروت، ٢٠٠٥).
العاني ، نوري عبد الحميد : تاريخ الصين الحديث ١٥١٦–١٩١١، (بغداد ، ٢٠٠٣).
العسلي ، بسام : بطرس الأكبر (١٦٧٢– ١٧٢٥) ، (منشورات المؤسسة العربية، بيروت،١٩٨٠).
ـــــــــــــــــ : فن الحرب الاسلامي في العهد العثماني، المجلد الخامس، (دار الفكر، د.م ، د.ت).
عمران، محمود سعيد : المغول وأوربا، (منشورات دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ، ١٩٩٧).
فرنادسكي، جورج : تاريخ روسيا، ترجمة: عبد الله سالم الزليتني، (المكتب الوطني للبحث والتطوير، طرابلس، ٢٠٠٧).
فشر، هـــأ. ل : تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ترجمة: محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني، (دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ،١٩٦٦).
فيشر ، هربرت : أصول التاريخ الأوربي الحديث من النهضة الأوربية إلى الثورة الفرنسية ، (منشورات دار المعارف ، ط٣، القاهرة ، ١٩٧٠).
الكسييف، سرجـــي: قصص من التاريخ الروسي، ترجمة: ماهـــــر عسل ، (دار التقدم، موسكو، ١٩٧٥).
يبيفانوف، فيدوسوف: تاريخ الاتحاد السوفيتي، ترجمة : خيري الضامن ونيقولا الطويل،(دار التقدم ، موسكو، د.ت).

يحيى، جلال : التاريخ الاوربي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الاولى ، ج٢ ، (منشورات المكتب الجامعي ، الاسكندرية ، د. ت).

ثانياً : الرسائل والاطاريح الجامعية

الشمري، مشعل مفرح ظاهر: روسيا القيصرية في عهد القيصر بطرس الأكبر (١٦٨٩-١٧٢٥)، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٦ .

نعمة ، يونس عباس : سياسة بريطانيا تجاه مستعمراتها في امريكا الشمالية (١٧٦٣ – ١٧٧٦) ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية، جامعة بابل ، ٢٠٠٦ .

ثالثاً : الكتب باللغة الانكليزية

Beik, Paul H. and Laurence Lafore, Modern Europe A History Since 1500, (New York,1961).

Bushkovitch, Paul , Peter the Great The struggle for Power, 1671-1725 , (Cambridge University press,2004).

Clarkson , Jesse, A History of Russia from the Ninth Century, (London,1961).

De Grunwald, Constantin, Peter the Great , Translated from the French by Viola Garvin, (London,1956).

Dukes, Paul, A History of Russia Medieval, Modern, Contemporary, (London,1974).

Florinsky, Michael, Russia A History and An Interpretation, (New York,1955).

Gibbon, Edward, The Decline and Fall of The Roman Empire , Vol .III, (New York , N. D).

Hingley, Ronald, The Tsars 1533-1917, (New York ,1968).

Kuskov , Vladimir , A History of old Russian Literature , Translated from the Russian by Ronald Vroon , (Moscow , 1977).

Littlefield, Henry, History of Europe 1500–1848 (New York ,1874).

Mary , Platt ,Parmele , A Short History of Russia , (New York , 1907), By www.ivsl.org.

Mazour, Anatole G. , Rise and Fall of the Romanovs , (London , 1960).

Paxton, John , Leaders of Russia and the Soviet Union from the Romanov Dynasty to Vladimir Putin ,(London , 2004).

Pennington, D. H., Europe in the Seventeenth Century, (London, N. D).

Spuler , Bertold , History of the Mongols Based on Eastern and Western Accounts of the Thirteenth and Fourteenth Centuries, Translated from the German by Helga and Stuart Drammond , (London , 1968).

Stone ,David , A Military History of Russia from Ivan the Terrible to the War Chechnya , (New York ,1968), By www.ivsl.org.

Sumner B.H. , Peter The Great and the Ottoman Empire, (Oxford University press,1949).

Vernadsky , George , A History of Russia, (Oxford University press ,1951).

رابعاً : الموسوعات العربية :

الخوند، مسعود: الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٣، (منشورات دار النهضة، بيروت، ١٩٩٤).

خامساً: الموسوعات باللغة الأجنبية :

Encyclopaedia Britannica , anew survey of universal knowledge, Vol.6 , (London, 1966) , p.157

سادساً : المجلات باللغة العربية

علي ، ادهم : بطرس الاكبر ومكانته في تاريخ روسيا ، مجلة العرب ، العدد ١٣، تشرين الثاني ، ١٩٦٩.

قاسمية ، خيرية : روسية القيصرية والمشرق العربي، مجلة دراسات تاريخية ، العددان التاسع والعاشر، تشرين الأول ، ١٩٨٢.

مجلة الهلال: بطرس الأكبر قيصر روسيا (١٦٧٢-١٧٢٥) ، ج٤، العدد الأول،كانون الأول، ١٩٨٢.

المجلات باللغة الانكليزية من المكتبة الافتراضية

Beatrice,Forbes,Manz,Mongol History rewritten and relived, (Tufls University Medford Mass, 2000), Jouranli: Revue des mondes musulmans by www.ivsl .org

سابعاً : الشبكة العالمية للمعلومات (الانترنيت) :

http:ll Encyc.reefnet.gov.sy.

http:llar.wikipedia.org.